الاتصال الدعوي في عهد النبوة

الأستاذ بوعلي نصير

جامعة الأمير عبد القادر

مدخل

إن الاتصال بمختلف وسائله الحديثة ونظرياته وتقنياته لم يكن معروفا وقت نزول الوحي على الرسول ﷺ وتبليغ الرسول بالدعوة إلى الله. لكن على الرغم من هذا إذا أخذنا بنظر الاعتبار المقاييس العلمية الحالية وتطبيقها على الدور الملقى على عاتق الدعوة الإسلامية وصاحبها، نستطيع القول أن للاتصال والإعلام (مشتق من الاتصال) أهمية ومكانة مرموقة في الدعوة الإسلامية، بل كان أداتها ودعامتها الأساسية.

فالدين الإسلامي دين دعوة –و الدعوة عمل اتصالي –يخاطب العقل ويستند إلى المنطق والبرهان، ويعمل على كشف الحقائق وإيصالها نزيهة وسليمة إلى الناس.

وهناك حقائق بارزة تؤكد مكانة وأهمية الاتصال والإعلام في الدعوة إلى الإسلام، يمكن إجمالها فيما يأتي:

لقد عاش الرسول ﷺ بصفته الداعية الأولى لهذا الدين حياة إعلامية واتصالية حافلة، وحقق من خلالها منجزات عظيمة وجبارة في حقل الدعوة الإسلامية استجابة لنداء ربه، وتحقيقا للمهمة الاتصالية التي كلفه الله بها وهي مهمة اتصالية وإعلامية صرفة، حيث حدد الله هذه المهمة في كلمات دقيقة واضحة لا تحتمل لبسا ولا غموضا في كثير من الآيات الكريمة:

قال الله تعالى: **"يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا"**[1].

وتُؤكِّدُ لنا هاتان الآيتان أن الدعوة إلى دين الله هي مهمة الرسول الرئيسة والأولى.

---

1 سورة الأحزاب، الآيتان 45 –46.

كما حدد الله تعالى مهمة الرسول ﷺ بقوله: **"ما على الرسول إلى البلاغ"**[1] وقال عز وجل **"يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته..."**[2]

و المقصود بالبلاغ هنا هو الإخبار أو الإعلام برسالته تعالى، إعلام الناس بالرسالة التي كلفه بها ربه، وهي رسالة مقدسة جاءت من لدن الحكيم الخبير.

إن أسلوب هذه المهمة الاتصالية أو البلاغية لم تقم على الإكراه بل كانت قائمة على مخاطبة العقل والإقناع بالكلمة الطيبة والدعوة بالحسنى وكثير من الآيات يؤكد ذلك ...قال تعالى لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم **"أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن.."**[3] **"إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء..."**[4] **"وإن ما نرينَّك بعض الذين نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب"**[5]. **"فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ "**[6]. **"فذكر إنما أنت مذكر* لست عليهم بمصيطر"**[7] **"لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي"**[8].

وإذا كان الله تعالى قد جعل الدعوة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، وكلف رسوله بتبليغها والاتصال بها دون استخدام العنف والإكراه وذلك في فجر الإسلام، فلا بديل إذن لنشر الدعوة وتبليغها للناس من الاتصال والإعلام بالحكمة والكلمة الطيبة والإبلاغ بالحقيقة الإلهية الخالدة. فكان الرسول ﷺ خير داعية

1 - سورة المائدة، الآية 101
2 - سورة المائدة، الآية 69.
3 - سورة النحل، الآية 125
4 - سورة القصص، الآية 56
5 - سورة الرعد، الآية 41.
6- سورة الشورى، الآية 45.
7 - سورة الغاشية، الآيتان 21 ــ22
8 - سورة البقرة، الآية 255.

لنشر الدعوة من خلال المهمة الإعلامية التي كلف بها من واقع القرآن الكريم ونهج في دعوته منهجا إعلاميا خالصا.

1-تعريف الاتصال الدعوي:

من هذا المنطلق يمكن لنا تعريف الاتصال الدعوي بأنه الاتصال الشامل، الذي يأمر بالمعروف ويدعو إلى الخير وينهى عن المنكر.

-إن الاتصال الدعوي هو بيان الحق وتزيينه في قلوب الناس بكل الطرق والأساليب والوسائل المشروعة، مع كشف وجوه الباطل وتقبيحه بالطرق المشروعة بقصد جلب العقول إلى الحق، وإشراك الناس في خير الإسلام وهديه، وإبعادهم عن الباطل وإقامة الحجة عليهم[1].

-إن الاتصال الدعوي هو "لفظ يعبر عنه القرآن الكريم بلفظ آخر هو الدعوة التي يقصد بها دين الإسلام ووسائل تبليغه، وطرق الاتصال بالناس وأساليب مخاطبتهم"[2]

-إن الاتصال الدعوي هو أداة الدعوة لبلوغ هدفها وهو يتميز عن الاتصال غير الدعوي بأنه "اتصال ذو مبادئ أخلاقية وأحكام سلوكية وقواعد وضوابط لا يحيد عنها، مستمدة من دين الإسلام، وهو إعلام واضح صريح عفيف الأسلوب نظيف الوسيلة"[3].

إن هذه الصفات، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ الدعوة إلى الخير؛ بيان الحق ؛ كشف وجوه الباطل؛ العفة والصراحة والصدق من صفات رسول الله ﷺ في اتصاله بالآخرين من عرب شبه الجزيرة العربية أو غيرها.ولقد بينت السيرة النبوية العطرة هذه الأساليب الاتصالية في دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دين ربه.

---

1 -محمود كرم سليمان، التخطيط الإعلامي في ضوء الإسلام، الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة، 1988 ص: 60—61.

2 - نفس المرجع السابق .

3 - نفس المرجع السابق .

2-وسائل وأساليب الاتصال في عهد النبوة:

يقول الإمام الحافظ ابن قيم الجوزية: إن مراتب الدعوة خمسة: المرتبة الأولى: النبوة، المرتبة الثانية: إنذار عشيرته الأقربين، المرتبة الثالثة: إنذار قومه، المرتبة الرابعة: إنذار قوم ما أتاهم من نذير من قبله وهم العرب قابطة، المرتبة الخامسة: إنذار جميع من بلغته دعوته من الجن والإنس إلى آخر الدهر[1]. وهو قول يمس وسائل الإعلام والاتصال في عصر النبوة مسا مباشرا.

ففي المرحلة الأولى أي النبوة، ظلت الدعوة في أول أمرها سرا (التأني والتعقل). لقد أعلم الرسول ﷺ زوجته السيدة خديجة وأعلم صاحبه أبا بكر الصديق وأعلم ابن عمه علي بن أبي طالب أعلمهم جميعا بأمر الدعوة فصدقوه وآمنوا به، ثم بدأت الدائرة تتسع بعد ذلك وكانت وسيلته في الإعلام بدعوته هي ما يسمى حديثا بالاتصال الشخصي المباشر وبناءا على ذلك يمكن القول بأن الاتصال الشخصي بلغة الإعلام اليوم،كان وسيلة الإعلام بالدعوة التي اتخذها الرسول منذ بداية نزول الوحي.

ثم بدأ الطور الثاني من أطوار الاتصال الدعوي بعد ثلاث سنوات من نزول الوحي فيما يروي بعض كتاب السيرة. ومع هذا الطور بدأت صفحة جديدة من وسائل وأساليب الاتصال بالدعوة في عصر النبوة، وهو الطور العلني. يبدأ هذا الطور بنزول الآية الكريمة: "**وأنذر عشيرتك الأقربين**.."[2] فقد صعد النبي على الصفا فجعل ينادي: يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم ضرا ولا نفعا، يا معشر بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم ضرا ولا نفعا، يا معشر بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم ضرا ولا نفعا، يا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم ضرا ولا نفعا، يا فاطمة بنت محمد

1 – الإمام الحافظ عبد الله بن قيم الجوزية، زاد الميعاد في هدى خير العباد الطبعة الأولى، القاهرة، 1934، ص: 27.

2 – سورة الشعراء، آية 213

أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لك ضرا ولا نفعا.ألا إن لكم رحما وسأبلها ببلائها. وجاء في بعض الروايات أنه ﷺ لما نزلت الآية "**وأنذر عشيرتك الأقربين**" جمع عليه الصلاة والسلام بني هاشم وأجلسهم على الباب، وجمع نساءه وأهله وأجلسهم في البيت ثم طلع فأنذرهم. إلى آخره من الروايات الكثيرة بهذا الصدد.

ومن الجدير بالملاحظة أن هذه الروايات تأكد ظهور وسيلة جديدة من وسائل الاتصال بالدعوة لتضاف إلى الوسيلة الأولى (الاتصال الشخصي) ألا وهي ما يمكن أن نسميه بلغة الإعلام (الاتصال الجماعي أو الجمعي).

فالرسول أستخدم الخطبة (كأسلوب اتصالي جديد) في جمهور من الناس لإعلامهم بالدعوة. وبذلك تصبح الخطبة وسيلة ثانية من وسائل الإعلام بالدعوة الإسلامية إلى جانب الاتصال الشخصي الذي لم يكن قاصرا على أهل بيته وأصدقائه.

وفي مرحلة توجيه الدعوة إلى المرحلة الثالثة (إنذار قومه) نرى أن وسائل الاتصال أخذت شكل عرض الرسول ﷺ للدعوة على القبائل والاستفادة من المواسم للإعلام بالدعوة الإسلامية وفي هذا الطور من أطوار الدعوة تمت الهجرة إلى الحبشة، ثم كانت الهجرة إلى المدينة وبنجاح الهجرة إلى المدينة بدأت دولة الإسلام. وهنا سنجد أن الإعلام المضاد بشتى وسائله لم يكف عن ملاحقة الاتصال بالدعوة، وسوف يأتي تناول هذا المحور في مبحث لاحق.

ومن وسائل الاتصال في هذا الطور هو الاستفادة من المواسم ليعرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل[1] .فكان عليه الصلاة والسلام يعرض نفسه في المواسم –إذا كانت– على قبائل العرب يدعوهم إلى الله ويخبرهم أنه نبي مرسل ويسألهم أن يصدقوه ويتبعوه.

1 – ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، والجزء الثاني، القاهرة، مصطفى البابي الحلبي وأولاده 1936،ص: 63.

أما في الدائرة الرابعة من أطوار الدعوة والمتمثلة في إنذار قومه والتي تمت بعد الهجرة استخدم الرسول ﷺ وسيلة إعلام جديدة هي بعث بعض أصحابه لإبلاغ الدعوة إلى الأقوام المنتشرين حول شبه الجزيرة العربية.

تبدوا هنا ظاهرة الفعل ورد الفعل على مستوى هذه الدائرة وهم جمهور العرب، كما لمسنا على مستوى الدائرة الثانية وهم كفار مكة، إذ هناك من رفض الدعوة، حتى من اعتدى على أصحاب الرسول بالقتل، مثل ما حدث لـ: "حرام بن ملحان" الذي نزل بكتاب رسول الله إلى عامر بن الطفيل فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى تعدى على الرجل فقتله. ولن نسترسل هنا في الأحداث التي وقعت لأصحاب الرسول (وهم وفود إعلامية) في القبائل الأخرى في الحجاز وأهل نجد الخ...

أما في المرحلة الخامسة من مراحل الدعوة في عهد النبوة بدأ الاتصال الدعوي بأخذ منحى العالمية. فبنجاح الهجرة إلى المدينة بدأت نواة الدولة الإسلامية، وبدأ الإعلام اليومي، إعلام إرسال واستقبال الوفد والأفراد، وبنجاح الهجرة انتقل الصراع بين الرسول ﷺ ومعه المؤمنون من المهاجرون والأنصار، وبين كفار مكة ومن آزرهم من اليهود والكفار والمنافقين إلى الصدام المسلح في صورة الغزوات المتتابعة، ونحن نعلم أن الغزوات في حد ذاتها كانت وسيلة من وسائل الاتصال الحضاري كما يذكر ذلك الأستاذ محمد سيد محمد في كتابه "المسؤولية الإعلامية في الإسلام". بالإضافة إلى الحج والأسواق الخ.

ويرى الإمام الحافظ ابن قيم الجوزية في كتابه زاد الميعاد أن الرسول ﷺ لما رجع من الحديبية كتب إلى ملوك الأرض وأرسل إليهم رسله[1] وهو نوع من الاتصال الدعوي الدولي أو العالمي شبيه بالوفود أو البعثات الإعلامية في العصر الحديث، فكتب إلى ملك

1 – توجد صور فيبعض الكتب تقول إنها صورة من الرسائل التي بعث بها النبي ﷺ وهي مصورة من محفوظات في المتاحف، ولكن جمهور الباحثين يؤكد أنها مزيفة، وليست حقيقية، أي ليست هي الأصل.

الروم وبعث برسالة إلى النجاشي ملك الحبشة، ورسالة إلى كسري ملك الفرس ورسالة أخرى إلى المقوقس حاكم مصر ورسالة إلى ملك البلقاء ورسالة إلى أمير عمان جيفر.

إن محتوى الرسائل التي بعث بها الرسول إلى هؤلاء الملوك كانت تهدف إلى غاية واحدة هي الإيمان بالله وحده لا شريك له وبالإسلام. كما كيف الرسولﷺ هذه الرسائل حسب نوعية الجهة المخاطبة. فالرسالة التي بعث بها إلى هرقل عظيم الروم جاء فيها "فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن تتول فإن إثم الأكارين عليك" أما الرسالة التي بعث بها إلى النجاشي عظيم الحبشة جاء فيها "فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق أدم بيده (إلى أن يقول) وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من أتبع الهدى" وجاء في الرسالة التي وجهها إلى كسرى ملك الفرس فأسلم تسلم، "فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك"[1].

أما أثر هذه الرسائل فقد كان النجاح في الإعلام بالدعوة بل والحوار حول الدعوة ذاتها. وبالإضافة إلى هذه الأساليب والوسائل الاتصالية في مسيرة الدعوة في عهد النبوة، لعبت القصيدة الشعرية أيضا كأداة اتصالية دعوية – دورا متميزا خلال هذه الحقبة الزمنية وحتى قبلها[2] فكان الشاعر بمثابة رجل الإعلام (الصحفي) الذي ينقل أخبار العرب ويحكى عن أيامهم وعن غزواتهم وعن عادتهم وتقاليدهم. فكانت القصيدة العربية كما يقول المستشرق نكلسون (NICHOLSON) في كتابه التاريخ الأدبي للعرب ـــ تعبر

---

1 – عزيزي عبد الرحمان، الإعلام الإسلامي تعثر الرسالة في عصر الوسيلة، حوليات، جامعة الجزائر، العدد 4، 1989 – 1990، ص 33 – 45.

2 – يقصد بهذه الفترة العصر الجاهلي الذي برزت فيه القصيدة الشعرية كأداة اتصالية تعبيرية بشكل ملفت الانتباه خاصة من خلال شعراء المعلقات السبع

الصحراء أسرع من الريح، وهنا تحضرني قصيدة المسبب بن علس عندما يقول: فلا أهدين مع الرياح قصيدة.. مني مغلغلة إلى القعقاع الخ...

إن هذه القصائد أثرت في الوجدان العربي قبل الإسلام وأثناء مجيئه: أما شعراء الدعوة في عهد النبوة فيمكن حصرهم فيما يلي: حسان بن ثابت الذي يلقب بشاعر الرسول وعبد الله بن رواحه، كعب بن مالك، كعب بن زهير بن أبي سلمى وعبد الله بن الزبعري، كعب بن الأشرف[1] ...الخ.

3 ـــ الاتصال المضاد في عهد النبوة: الإشاعة نموذجا:

منذ أن جهر الرسول بالدعوة إلى الله، وعالن قومه بضلال ورثوه عن آبائهم، قرر المشركون ألا يألوا جهدا في محاربة الإسلام وإيذاء الداخلين فيه، وانفجرت مكة بمشاعر الغضب، وظلت عشرة أعوام تعد المسلمين عصاة ثائرين فزلزلت الأرض من تحت أقدامهم، واستباحت دماءهم وأموالهم وأعراضهم.. وصحب كل ذلك حرب عاتية من الإشاعات المغرضة والسخرية والتحقير لتذليل المسلمين وتوهين قواهم المعنوية وتحطيم نفسيا لهم.. فرمي النبي ﷺ وصحابته بتهم خطيرة وأشيعت حولهم الافتراءات والأباطيل، للحد من مكانتهم لدى الجماهير[2].

ومن الأساليب الاتصالية المضادة للدعوة الإسلامية في عهد النبوة ما كان يفتري على الرسول وصحابته من إشاعات مغرضة، فالإشاعة كانت تنتقل بسرعة البرق عن طريق النقل أو الاتصال الشفهي، وهي الأحاديث أو الأقوال والأخبار والروايات التي يتناقلها الناس دون تأكد من صحتها ودون التحقق من صدقها[3]، والإشاعة حين تروج تجرف الجمهور معها وتبنى على معادلة هي، حاصل ضرب الأهمية في الغموض، وهناك نماذج

1 – محمد سيد محمد، المسؤولية الإعلامية في الإسلام، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الطبعة الثانية، 1986 ص: 98 – 149.

2 – محمد الغزالي، فقه السيرة، القاهرة، ط 7، 1976، ص 106.

3 – المعجم الوسيط، الجزء الأول، ط 2، القاهرة، 1973، ص 503.

كثيرة للشائعات التي روجها المشركون واليهود والمنافقون ضد الرسول ﷺ والإسلام والمسلمين منها: حادثة الإفك المعروفة بعد غزوة بني المصطلق والتي حاك أطرافها عبد الله بن أبي بن سلول ضد عائشة (رضي الله عنها) وهذه الإشاعة استهدفت شخص رسول الله[1] كذلك الإشاعة التي روجها المشركون بين مهاجري الحبشة خلاصتها أن "المشركين هادنوا الإسلام وتركوا أهله أحرار وأن الإيذاء القديم انقطع، فلا بأس عليهم إن عادوا وقد تركت هذه الإشاعة أثرها في هؤلاء المسلمين فعاد منهم **33** رجلا حتى إذا دنوا مكة ظهرت لهم الحقيقة محزنة وعرفوا أن المشركين أشد ما يكونون خصومة لله[2]. كذلك الإشاعة التي روجت في عمرة القضاء عندما جاء المسلمون إلى مكة لأداء العمرة في أواخر السنة السابعة للهجرة وفق الاتفاق المبرم بينهم وبين مشركي مكة في العام السادس[3]. وهناك الإشاعات التي روجت ضد الرسول ﷺ بأنه كاهن وأنه مجنون وأنه شاعر وأنه كذاب وأنه ساحر الخ...

4 ـــ النواة الأولى للعالمية:

إن الرسالة الإسلامية من الوجهة الجغرافية والحضارية مشروع اتصالي كبير، فلم يكن الرسول ﷺ شيخ قبيلة يرسل رسائله إلى شيوخ قبائل أخرى، وإنما هو رسول الله وخاتم النبيين. وختم النبوة هنا تقرير مباشر بعالمية الرسالة الإسلامية، أي بعدم انحصارها في إقليم جغرافي ضيق، فهي دعوة لا يفرق فيها بين عربي أو عجمي أو رومي أو حبشي إلاّ بتقوى. ففي القرآن الكريم دلائل شتى تقر منذ الوحي بهذه العالمية كقوله تعالى في سورة التكوير **"فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم"**[4].

---

1 - وهي الإشاعة التي روجت خلال عودة الرسول (ص) من غزوة بني المصطلق إلى المدينة بث حديث الإفك وشاع، عن الرسول الله ممثلا في زوجته أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، حيث اجتهد خصوم الله ورسوله في نقل شرر هذه الشائعة الخبيثة في كل مكان قاصدين حرب الإسلام.

2 - فقه السيرة، مصدر سابق، ط ج 2، ص: 3 و8.

3 - فقه السيرة، مصدر سابق ج2، ص. 3 و8.

4 - سورة التكوير، الآية: 26 - 27.

وقوله تعالى: في سورة القلم **"وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون أنه لمجنون وما هو إلا ذكر للعالمين"**[1].

وقوله تعالى: في سورة الفرقان **"تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعـلمين نذيرا"**[2] وقال تعالى: في سورة الأنبياء: **"وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"**[3].

إن هذه الصفة أي العالمية انفرد بها محمد فكل الأنبياء من قبله محليـون رسـالتهم محدودة الزمان والمكان. فالله سبحانه وتعالى بعث الأنبياء والرسل قبل محمد ﷺ لأقوامهم فقط فقال عن عيسى: **"و إذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكـم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد"**[4] وقال: عـن نوح عليه السلام **"لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إلـه غيره"**[5] وبعث هود إلى قوم عاد فقال: **"وإلى عاد أخاهم هودا قال: يا قوم اعبـدوا الله ما لكم من إله غيره"**. وعن صالح عليه السلام قال: **"وإلى ثمود أخاهم صالحا، قال: يـا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره"**[6] وعن شعيب عليه السلام قـال: **"وإلى مديـن أخاهم شعيبا، قال: يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره"**.

إن أسطورة "ثقافة العولمة" التي تتشكل اليوم عبر وسائل الإعلام الغربية لا تتصـل بنوح ولا بهود ولا بصالح ولا بشعيب ولا بعيسى الذي مهد لمحمدﷺ و بلغ تعاليم إبراهيم وبنيه عليهم السلام. ومن ثمة فهي في نظري منهج بشري ضيق يقوم علـى العنصريـة والعرقية والمركزية الإنسانية وهي مغالطة معروفة.

---

1 - سورة القلم، الآية: 51-52
2 - سورة الفرقان، الآية 1.
3 - سورة الأنبياء، الآية: 106.
4 - سورة الصف، الآية 6
5 - سورة الأعراف آية 58
6 - سورة الأعراف آية 72